

بشريات النصر

الكاتب : سلوى الوفائي

التاريخ : ١٨ أكتوبر ٢٠١٢ م

المشاهدات : 11319



حورية فاتنة تغسل قدميها بمياه البحر الأبيض المتوسط، و تغفو على ضفاف بردى و العاصي و الفرات، أبيقورية، وجودية،
تعشق الحياة و تقطف ثمار السعادة في مواسم الحبق، عشقها كلّ السوريين و ازدادوا عشقاً حين سجدت تصلي في محراب
الحرية.

غنوا لها، هتفوا معها، ساروا خلفها كسنا بل تركت بغير حصاد، و حلّقوا بها في فضاءات الشموخ، يحاولون صيد الشمس،
و حولهم تتساقط النجوم كسفاً.

هي سورية الأبية العصية على الدمع، على الألم، على الجراح النازفة، التي ضحّت وما تزال بالغالي والنفيس لتحقيق أملها
المنشود، و وسيلتها إلى ذلك شعب عظيم سطرّ بدمائه الزكية ملحمة الفداء وصاغ عقد النصر قلادة يزيّن بها جيد الغالية.

و ها قد بدأت بشريات النصر تلتمع في الأفق تؤذن بانبلاج فجر الحرية.

أولى علامات اقتراب النصر تتجلى في صمود الشعب الثائر الصابر و أبطاله أحرار الجيش الحرّ، أولئك الذين يرون الجنة
في فوهة البندقية، أولئك المحاصرون في المدن و الأحياء و قد قطعت عنهم كلّ أسباب الحياة من ماء و كهرباء و اتصالات
و غذاء و دواء، تعجب حين تراهم يقتاتون الخبز الجاف الذي يجمعونه من تحت الأنقاض و لا يستسلمون، يجمعون الماء من
غيث السماء ليشربوا و لا يولّون الأدبار، خبزهم الصبر و مأوهم الثبات و اتصاليهم بربّ العرش في سجدة و دعاء، منعوا
عنهم السلاح و الذخيرة فوجدوا ألف طريقة لصنع أسلحتهم.

معركتهم معركة وجود، معركة حياة، معركة كرامة، و ما الصبر إلا بشرى من بشريات النصر المؤزر، "ولا تهنوا و لا تحزنوا

وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين" في الطرف الآخر، ثمة جيشٌ متهاك، مترنح، مذذب لا يدرك لماذا يقاتل وفيما يقتل، كآلة يتحرك بخيوط يمسك أطرافها قادته المتسلقون الذين جعلوا منه مطية لتحقيق مآربهم الوضيعة في استمرار السيطرة على سورية الحبيبة ومقدراتها و ثرواتها و استمرار التحكم بمفاصل الحياة فيها ونهب خيراتها، أولئك الذين باعوا سورية في المزاد العلني في صفقات الساعات الأخيرة، و هدموا بيوتها، و مؤسساتها وأحرقوا مزارعها و حقولها، و دمروا كل ما طالته قذائف حقدهم وعنجهيتهم و غطرتهم السياسية المقيتة تحقيقاً لشعار "الأسد أو نحرق البلد"،

لكن سنة و نصف من القتل و الدمار أيقظت الوعي النائم لدى شبيحة الأسد و ذويهم و قد بدأوا ينسحبون من جيش الأسد و يرفضون الانضمام له و خدمة العلم في صفوفه، و يناون بأنفسهم عن موت محتمّ تفوح رائحته من جثث أصدقائهم و أقربائهم، بدأت المشاعر تتداخل و تتساءل "لماذا يموت ولدي؟"

سؤال وجهته أحد أمهات الشبيحة في صرخة ألم حين استلمت جثة ابنها المقتول، نعم؟

لماذا يموت شباب سورية أيًا تكن طائفتهم؟

أ لأجل البلد أم لأجل شخص أعلن العالم أنه ساقط لا محالة و أنه أصبح من ذكريات الماضي الأليم، و أنه أصبح عبئاً على البشرية؟

لقد بدأ انسحاب المواليين للأسد من جيشه، بل وصل الأمر إلى حدّ الانتحار، في رواية عن شهود عيان، فقد قام أحد عناصر الأمن الأسدي أمس بالانتحار في أول شارع الحضارة، في مدينة حمص حيث أطلق الرصاص على رأسه و تمّ نقل جثمانه من قبل عناصر الأمن الأسدي في جوّ من الهلع والاكنتاب المطبق.

و كثر الحديث عن خلافات حادة و مشاحنات بين عناصر الأمن الأسدي وصلت إلى حدّ القتل فيما بينهم، و الروح المعنوية لديهم أصبحت بالحضيض لأنهم أدركوا أخيراً أنهم يخوضون معركة خاسرة وأنّ هدفهم يخلو من النبل والإنسانية.

وجاءت عملية تفجير هيئة الأركان لتقدم دليلاً آخر على قرب انهيار النظام الأسدي، فقد استهدفت ثاني أهم رمز للنظام وهي تأتي بأهميتها بعد القصر الجمهوري مباشرة، وأدى الانفجار إلى تدمير أجزاء من المبنى و حرق أحد المباني بالكامل و قد استمرت لساعات طوال، و تسببت في قطع أو أصر مدينة دمشق ليوم كامل بالحواجز الأمنية وأدت إلى إيقاع ضحايا بأعداد هائلة بدليل أن صفارات سيارات الإسعاف استمرت لساعات وهي تجوب ساحة الأمويين تنقل الجرحى والقتلى.

ولا شكّ أنّ العملية تمت بالتعاون مع جهة مخابراتية دولية، فقد أعدت بطريقة مدروسة وبناء على معطيات دقيقة غير متوفرة إلا من قبل الجسد العسكري للنظام ذاته، وشكّلت العملية ضربة قاسية للنظام تظهر مدى الاختراق الذي تعاني منه كتائب الأسد و من وصل إلى مبنى هيئة الأركان العامة لن يعجزه الوصول إلى القصر الرئاسي ذاته.

و قد استهدفت العملية قيادات للحرس الثوري الإيراني، فلم يكن مقتل أحد الصحفيين الإيرانيين وإصابة الآخر مجرد صدفة، وهذا يعني إيصال رسالة للإيرانيين في أنهم تحت المراقبة و السيطرة و لا يملكون يداً مطلقة في سورية.

و قد برهنت ردة فعل النظام سواء في تسفيته للعملية وتأخيره في بث أحداثها، على عكس عادته، رغم أن جميع كاميرات التلفزة السورية الرسمية متمركزة في الجانب الآخر من ساحة الأمويين في مبنى الإذاعة والتلفزيون وعلى بعد أمتار من مكان وقوع الهجوم، أنه في حالة ارتباك و دهشة و خوف.

فكان ردّه بافتعال المجازر الانتقامية المروعة و إعادة انتشار للشبيحة وإعادة تمركزهم في مفاصل المدينة، الأمر الذي لم يعهده سكان دمشق من قبل وهذا استعداداً للدفاع عن آخر حصونهم التي تدك الواحدة تلو الأخرى.

وما الإعدامات الميدانية والقتل العشوائي والدمار الذي يرتكبه أذئاب النظام سوى دليل إفلاس استراتيجي عسكري سياسي وأخلاقي، و دليل آخر أنّ النظام تهالك وأصبح قاب قوسين أو أدنى من السقوط.

سورية، التي لا مثيل لها بين الجميلات، تودّع زهرات شبابها بالرياحين والزهور، وتستقبل ربيع الحرية بدمعة ألم ممزوج

بالفرح، وتخطّ قصائد النصر بجداول حرائرها، سورية الصابرة المجاهدة ترعاها عين الله، عوقبت عقاباً غير عادي لأنّها طلبت هدفاً غير عادي، و غير موجود في قاموس الدكتاتوريات العالمية، ولأنّها شربت من الحرية أكثر مما ينبغي، فقد كان لا بدّ أن تغصّ وتشرق، ولأنّها ضحكت للحرية، كان لا بدّ أن تبكي، و قد استعذبت البكاء على ضوء قمر الحرية و شمس النصر القادم.

المصادر: